

"التوترات الأخيرة جنوب سوريا واحتمالات نشوب حرب بين حزب الله وإسرائيل"

هاجر أبوزيد*

يمثل تنظيم حزب الله اللبناني بجناحيه العسكري والسياسي أحد الفاعلين المؤثرين على معطيات الساحة اللبنانية والعربية لما له من ارتباطات تحالفية مع طموح النفوذ الإقليمي لإيران، وهو ما تراه إسرائيل يمثل تهديداً واضحاً لأمنها، ولذا يأتي اهتمام مراكز الأبحاث الإسرائيلية التابعة لأهم مراكز صنع القرار الإسرائيلية بدراسة وتقييم التطورات التي تتعلق بالموقف الميداني لحزب الله في الحرب السورية ومدى تأثير ذلك على التغيرات في المنطقة الشمالية الإسرائيلية وتطور قدرات حزب الله وخبراته العسكرية في مواجهة إسرائيل.

وفي هذا الصدد نورد فيما يلي تحليلاً وفق مجموعة من التقارير الصادرة عن تلك المراكز والتي ناقشت التوترات الأخيرة على الحدود الإسرائيلية السورية التي بدأت بزيارة وفد من كبار قادة الحرس الثوري الإيراني هضبة الجولان والتداعيات التي خلفتها العملية العسكرية التي قام بها سلاح الجو الإسرائيلي في ١٨ يناير ٢٠١٥ في القنيطرة قرب الحدود السورية الإسرائيلية، ضد عناصر وأهداف تابعة لحزب الله وإيران في أعقاب تلك الزيارة، وأسفرت العملية عن اغتيال قيادات عسكرية مهمة وهم "محمد علي الله دادي" أحد الضباط الكبار في الحرس الثوري الإيراني التابع لفيلق القدس، وجهاد مغنية، نجل القيادي السابق في حزب الله عماد مغنية، ومحمد عيسى المسؤول العسكري للحزب عن قطاع عمليات الجولان، ورداً على تلك العملية، أطلقت من سوريا قذائف صاروخية مضادة للدبابات على قافلة تابعة للجيش الإسرائيلي في موقع جبل "دوف" العسكري في مزارع شبعا على الحدود الإسرائيلية اللبنانية في ٢٨ يناير ٢٠١٥، تزامناً مع قصف آخر استهدف مواقع عسكرية إسرائيلية في

*باحثة بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط.

جبل الشيخ (جنوب شرق لبنان وعلى الحدود السورية اللبنانية الفلسطينية^١). وكان رد حزب الله في مزارع شبعا أكثر أهمية وأسفر عن مقتل جنديين إسرائيليين وإصابة سبعة آخرين.

موقف إسرائيل من تأسيس جبهة جديدة جنوب سوريا:

تمثل هدف إسرائيل من عملية القنيطرة (جنوب غرب سوريا وهي جزء من هضبة الجولان) في إطار وجود حتمية إسرائيلية تقتضي العمل على منع قيام أي شبكة قواعد عسكرية تابعة لحزب الله والحرس الثوري الإيراني في هضبة الجولان تكون منطلقاً لشن عمليات مستقبلية بغرض مهاجمة إسرائيل وردعها عن فكرة ضرب المنشآت النووية الإيرانية، وزيادة عدم الاستقرار الإقليمي، وتوسيع النفوذ الإقليمي الإيراني والتأثير على المعادلة الأمنية الراهنة في المنطقة الشمالية لإسرائيل، وبالتالي تتخوف إسرائيل أن تتشكل جبهة جديدة لحزب الله من جنوب لبنان وهضبة الجولان معاً كجبهة موحدة للإضرار بأمن إسرائيل، وقد وصلت عمليات تأسيس تلك الجبهة لمراحل متقدمة وفق ما جاء في تقرير معهد الأمن القومي الإسرائيلي الصادر في مارس الماضي الذي جاء بعنوان "إسرائيل وحزب الله ما بين الحرب المعلنة والسرية"^٢، وتمهد لمعركة مقبلة تفكك فيها إسرائيل تلك القواعد التابعة لحزب الله وإيران.

وفي هذا الشأن أيضاً، أشار تقريرين لمركز بيجن- السادات للدراسات الاستراتيجية صدر في ٢ فبراير الماضي^٣، إلى أنه رغم استمرار بقاء نظام الأسد حتى الآن، إلا أن تفشي نشاط الجماعات الجهادية وما فرضته من احتمالات انهيار وشيك لأنظمة الحكم والدول في المنطقة عاملاً، حيث بدأ نظام الأسد يفقد السيطرة على أراضي الدولة السورية أمام اتساع رقعة المناطق الخاضعة لسيطرة تلك الجماعات كداعش وجبهة النصرة، لكن في ذات الوقت تكتسب إيران وحزب الله قدرات أكبر لتأسيس قاعدة

١ - يُعتبر جبل الشيخ امتداداً لسلسلة جبال لبنان الشرقية، ويحده من الشمال الأجزاء الجنوبية من البقاع اللبناني، ومن الشرق والجنوب والغرب هضبة الجولان بالإضافة إلى مزارع شبعا اللبنانية، وبه مواقع عسكرية تابعة لإسرائيل على الجانب الجنوبي والغربي منه.

2 - David Siman-Tov , Yoram Schweitzer, **Israel against Hizbollah: Between Overt and Covert Warfare**, INSS Insight No. 668, March 2, 2015.

3 - Efraim Inbar, **Why the Hezbollah Clash Matters**, BESA Center Perspectives Paper No. 286, February 2, 2015.

Yaacov Amidror, **Line in the Sand**, BESA Center Perspectives Paper No. 285, February 2, 2015.

جديدة لعملياتهم ضد إسرائيل في جنوب سوريا، ولذلك تستعد إسرائيل لاحتمالات تطبيق معيار جديد للصراع بين إسرائيل وحزب الله بحيث يقوم حزب الله بعمليات معادية لإسرائيل من الأراضي السورية وقد ينجم عنها عمليات إسرائيلية ضد حزب الله في الأراضي اللبنانية والعكس صحيح، وتأكيداً لما سبق، أشار تقرير آخر نشره معهد الأمن القومي الإسرائيلي صدر في ٢٧ يناير الماضي إلى أن إسرائيل سعت بعد عملية القنيطرة إلى دراسة طبيعة الرد الذي سيتخذه حزب الله تجاه العملية إما بالتنسيق مع إيران أو منفرداً، ثم تقييم الاعتبارات التي من المرجح أن توجه محور الممانعة (حزب الله - إيران - سوريا) ضد إسرائيل خلال الفترة المقبلة^١.

عملية القنيطرة من وجهة نظر إيران وحزب الله:

مثلت عملية القنيطرة تجاوزاً خطيراً من وجهة النظر الإيرانية وحزب الله، لأنها انتهكت في رأيهم قواعد اللعبة المتعارف عليها في صراعهما ضد إسرائيل والتي تشكلت بعد اندلاع الحرب في سوريا، حيث كشفت العملية الإسرائيلية الأخيرة في القنيطرة عن تآكل وتراجع ردع حزب الله الذي استطاع فرضه منذ الحرب الإسرائيلية اللبنانية في يوليو ٢٠٠٦.

العمليات الإسرائيلية ضد تنظيم حزب الله:

ليست عملية القنيطرة الأولى من نوعها بل سبقها ضربات جوية إسرائيلية أخرى كان آخرها الضربة الجوية التي حدثت في عام ٢٠١٤ مستهدفة فيها قوافل أسلحة أرسلتها إيران إلى حزب الله في سوريا، إضافةً إلى عمليات اغتيال القيادات العسكرية في حزب الله وأبرزهم: اغتيال "عماد مغنية" عام ٢٠٠٨ في دمشق وهو قائد العمليات الخارجية للحزب، وكان يُعتقد أن مغنية مسؤولاً عن عدد من الهجمات الكبرى ضد الولايات المتحدة في لبنان: الهجمات على السفارة الأمريكية في بيروت ومجمع البحرية. وكان يُعتقد أنه أيضاً مسؤول عن هجمات ضد أهداف إسرائيلية ويهودية في الأرجنتين. واغتيال "على حسن النقيسي" في ديسمبر من عام ٢٠١٣ في منطقة سكنية شرق الضاحية الجنوبية في بيروت، وهو المسؤول عن تطوير منظومة الأسلحة والبنى التكنولوجية في الحزب ومسئول التنسيق مع القيادة العسكرية السورية بعد الحرب السورية. واغتيال في يوليو ٢٠٠٤ غالب عوالي في الضاحية الجنوبية لبيروت، علاوة على شبكات تجسس تعمل لصالح إسرائيل داخل حزب الله، وكان آخر ما كشف عنه

1-Omer Einav, The Attack in the Golan Heights: Is an Israel-"Axis" Conflict Expected?, INSS Insight No. 658, January 27, 2015.

شبكة مكونة من اللبناني محمد شوربة الذي تعرفه مصادر بأنه الرجل الثاني في وحدة العمليات الخارجية التابعة لحزب الله، وأربعة من معاونيه، وكشف الحزب أن إسرائيل استطاعت من خلال تلك الشبكة اختراق حزب الله استخباراتياً وجمع معلومات حساسة سهلت القيام بعملية القنيطرة.

تقييم إسرائيل لعمليات حزب الله العسكرية:

فيما يتعلق بتقييم إسرائيل لتاريخ العمليات العسكرية التي يقوم بها حزب الله ضد إسرائيل في جميع أنحاء العالم والشرق الأوسط وليس على الحدود اللبنانية الإسرائيلية فقط، رداً على العمليات الإسرائيلية ضد أهدافه وعناصره لاسيما القيادية منها، أجمعت التقارير الإسرائيلية إلى أن إسرائيل ترى أن هذه العمليات جاءت ضعيفة نسبياً باستثناء عملية تفجير حافلة سياحية في مطار بورجاس الدولي في بلغاريا في يوليو ٢٠١٢ قتل على إثره خمسة إسرائيليون وسائق الحافلة البلغاري، الأمر الذي وضع الاتحاد الأوروبي في أعقابه تنظيم حزب الله على القائمة الأوروبية للمنظمات الإرهابية، حيث أشارت التحقيقات أن مخططي الهجوم لبنانيين منهم محمد حسن الحسيني المنفذ الانتحاري وهو يحمل الجنسيتين اللبنانية والفرنسية، ونشأ في معقل حزب الله بجنوب لبنان، أما غير ذلك من هجمات الحزب ضد عناصر إسرائيلية في الخارج (في جنوب أفريقيا وأذربيجان والهند وتركيا وتايلاند والأردن) أو تجنيد عملاء له فجاءت وفق النظرة الإسرائيلية كمحاولات فاشلة إضافة إلى هجمات تراها إسرائيل محدودة في شمال هضبة الجولان في عام ٢٠١٤، وبناء على كل هذه المعطيات يخطط حزب الله ومن ورائه إيران لتجديد ردعهم وإثبات عدم تخليهم عن مبدأ المقاومة وأهمية الإضرار بأمن إسرائيل، بجانب رغبتهم في إثبات أن استمرار انخراطهم في الحرب السورية لم يبعدهم عن هدفهم الأساسي وهو مقاومة إسرائيل بالقوة.

هل حدث تغير في قواعد الاشتباك المتفق عليها؟

لقد اتجهت قواعد الاشتباك بين الجانبين الإسرائيلي واللبناني (حزب الله) بعد الحرب اللبنانية الأهلية من حالة الحرب المفتوحة إلى الانضباط التدريجي وتركيز القتال والاشتباك ضمن منطقة جنوب لبنان والحدود اللبنانية الإسرائيلية، إلى أن اتفق الجانبان (دون توقيع) على ضبط قواعد الاشتباك وأن يكون ضبط النفس بينهما متبادلاً، ولم يحدث خرق لتلك القواعد سوى في حرب عام ٢٠٠٦ أو حرب لبنان الثانية واستمرت لمدة ٣٤ يوم. وفي خطاب نصر الله في الضاحية الجنوبية لبيروت ٣٠ يناير

٢٠١٥، بعد العملية التي نفذها حزب الله في مزارع شبعا ضد إسرائيلي رداً على عملية القنيطرة، قال إنه لا يريد حرباً مع إسرائيل، لكن "حزب الله لا يخاف الحرب وسيواجهها إذا فرضت عليه وسينتصر"، مضيفاً أن "المقاومة لم تعد تعترف بشيء اسمه قواعد اشتباك أو تفكيك الساحات والميادين"، وأن من حق المقاومة الشرعي والأخلاقي والقانوني أن تواجه العدو في أي مكان وزمان"، وهو ما يعد اعترافاً صريحاً بتغيير قواعد الاشتباك مع إسرائيل من منظور دفاعي ولتوسيع هامش الرد على إسرائيل، رغم أن رد حزب الله العسكري الأهم جاء في مزارع شبعا أي ضمن الحدود اللبنانية الإسرائيلية أي منسجمة مع قواعد الاشتباك، فيما كانت عملية القنيطرة داخل سوريا.

جبهات المواجهة واحتمالات نشوب حرب:

أشار مركز بيجن- السادات أن الواقع الإقليمي أصبح أقل قابلية للتنبؤ وأكثر عنفاً من ذي قبل، لأن ديناميتها تتغير بسرعة أكبر من ذلك بكثير، وبالتالي لن يتخذ حزب الله وحليفته إيران قراراً حاسماً بالحرب الشاملة أو القيام بعمليات عسكرية نوعية تكون أكثر عنفاً ضد إسرائيل إلا إذا توافرت الشروط المناسبة التي قد تضطربهم لاتخاذ هذا القرار، وهذه الشروط لا يرغب حزب الله وإيران (وإسرائيل) في حدوثها الآن نظراً لأن الحرب السورية مازالت على أشدها، إضافة إلى توزع خريطة المناطق التي يحارب فيها تنظيم داعش في العراق وسوريا ولبنان وليبيا وغيرها، علاوة على ما أكدته مركز بيجن- السادات بأن حزب الله ليس لديه رغبة في تجديد حرب مماثلة لحرب ٢٠٠٦، كما يتخوف من القيود السياسية الداخلية وتخوفه من انفجار الوضع الداخلي في لبنان وهو ما قد يؤدي إلى اتساع التأثيرات السلبية على الاقتصاد اللبناني، وتوترات طائفية سنية وشيعية خطيرة تنسف مساعيه في استمرار الحوار مع تيار المستقبل وتعهدهما بربط النزاع فيما بينهما، وللحد من تداعيات الأزمة السياسية في لبنان بسبب فراغ منصب رئيس الجمهورية إلى الآن.

خيارات حزب الله:

أورد تقرير معهد الأمن القومي مجموعة من الخيارات التي قد يتخذها حزب الله وإيران

ضد مصالح إسرائيلية ومنها شن عملية جوية باستخدام طائرات دون طيار، أو هجوم في المجال البحري الإسرائيلي، أو مهاجمة قواعد أو قوات تابعة للجيش الإسرائيلي في المنطقة الشمالية، أو إطلاق

الصواريخ داخل إسرائيل، أو الحرب الإلكترونية، أو هجومات محددة على الحدود الإسرائيلية - اللبنانية أو تنفيذ عمليات ما في الخارج ضد مصالح إسرائيلية.

خيارات إسرائيل:

فيما يتعلق بالإجراءات الإسرائيلية المتوقع أن تتخذها استعداداً لأي عمل عنيف من قبل

حزب الله وإيران، فيمكنها إجراء تحسينات لمنظومة الدفاع في الشمال بما يرفع قدراتها على توقع التحركات المستقبلية لحزب الله على الساحة اللبنانية ومنعها، وقد تسعى إسرائيل في سبيل ذلك إلى إظهار قدرة أقل على ضبط نفس، وتعزيز القوات البرية اللازمة لغزو جنوب لبنان بغرض تدمير التهديد الصاروخي الذي تشكله ترسانة حزب الله هناك والمكونة من حوالي ١٠٠ ألف صاروخ يرى حزب الله أنها فعالة وكافية لردع إسرائيل عن شن حرب على لبنان.

ويتوقع معهد الأمن القومي الإسرائيلي أنه من الممكن أن تقع معركة عنيفة بين إسرائيل وحزب الله في لبنان وسوريا، وربما حتى خارج منطقة الشرق الأوسط في العام المقبل نظراً لمحاولات حزب الله وإيران وسوريا توسيع مناطق نفوذهما في جنوب سوريا ومرتفعات الجولان السورية، وحذر بأنه في حالة قيام المواجهة مع حزب الله وإيران على الجبهة الشمالية الإسرائيلية من الخطورة أن تعتمد إسرائيل على نهج الحرب السرية، لأنه يفتح مجال المناورة والإنكار لكلا الطرفين، وبالتالي يقلل من خطر التصعيد إلى حد الحرب التي ربما تندلع بالفعل.

علاوةً على ذلك، نوه بيجن- السادات بأنه قد تحتاج إسرائيل في هذه المرحلة إلى تقييم سياستها تجاه نظام الأسد الذي ظل محافظاً على هدوء الأوضاع في الجولان بما خدم المصلحة الاستراتيجية لإسرائيل، ورغم أن الحرب الأهلية السورية مثلت لإسرائيل تطوراً استراتيجياً ملائماً وصف بأنه الأشرار يحاربون الأشرار "bad guys fight bad guys"، وكانت إسرائيل فيها فاعل محدود التأثير، أما في الوقت الحاضر، قد يمثل تدعيم إسرائيل لعوامل إسقاط نظام الأسد مصلحة استراتيجية من أجل إضعاف إيران وحزب الله وتقليل تأثيرهما داخل لبنان، وحتى يمكنها منع حزب الله من تعزيز قدراته العسكرية. ويجنب إسرائيل أن تلجأ إلى غزو لبنان لتدمير ترسانة صواريخ حزب الله.

ورغم ما يمثله إسقاط نظام الأسد من أهمية لإسرائيل ويقربها من السعودية المنافس الإقليمي لإيران الآن، إلا أنه يحمل مخاطر حول مآل الأوضاع في سوريا لاسيما أنه قد يؤدي إلى زيادة نفوذ الجماعات السنية الجهادية وصراعها للسيطرة على أجزاء جديدة من سوريا، إضافة لمخاطر ما تبقى من ترسانة الأسلحة الكيميائية السورية.

الخلاصة:

تفرض تداعيات استمرار تورط حزب الله وإيران في الحرب السورية ألا يتجهها إلى التصعيد العسكري العنيف ضد إسرائيل حتى لا يتطور الأمر إلى اندلاع حرب جديدة تكون جبهتها الرئيسية لبنان، بل ستكتفى أطراف الصراع هذه بعدد من المواجهات المتقطعة والمتبادلة على الجبهتين السورية واللبنانية، ولعل ذلك يرجع للأسباب التالي ذكرها:

- أ- انشغال حزب الله وإيران بالعمليات العسكرية على الجبهة السورية ضد المعارضة السورية والتنظيمات الجهادية المسلحة خاصة داعش والنصرة.
- ب- تخوف حزب الله أن تتخذ التنظيمات الجهادية من لبنان ساحة لحربها ضده إذا اندلعت حرب جديدة بين حزب الله وإسرائيل.
- ج- عدم توفر أماكن كافية وأمنة للجوء ونزوح اللبنانيين في حالة اندلاع حرب جديدة، لاسيما وأن لبنان الآن تستضيف وحدها قرابة المليون والنصف من اللاجئين السوريين إضافة إلى الفلسطينيين الهاربين من الحرب السورية.